النحو العربي بين التقليد والتجديد

د. محيي الدين سالم
جامعة قسنطينة - الجزائر

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد خالق كل شيء بقدر.. والصلاة والسلام على نبيه الأمي المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ ، أما بعد:

فإن النحو العربي من أشرف علوم العرب والمسلمين لا يختلف في ذلك اثنان ، وقد دعت إليه دواع كثيرة لعل أهمها ثلاثة (١) :

- الداعي الديني بغرض حفظ نص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من اللحن والتحريف...

- الداعي القومي من أجل الحفاظ على اللغة العربية من الذوبان في اللغات الأخرى بعد اختلاط العرب بالأعاجم الذين فتحت بلدانهم ودخلوا تحت لواء الإسلام .

- الداعي الاجتماعي بغرض رسم أوضاع العربية إعرابًا وتصريفًا حتى تفي بالمتطلبات الجديدة الحياتية...

أولا- علاقة النحو بالعلوم الإسلامية:

لا يختلف اثنان في أن النحو العربي قد نشأ وتطور في مناخ عربي إسلامي عام أنتج علوما عربية إسلامية تشاركت في النشأة وتساهمت في أسباب التطور وفي وجوه التأثر والتأثير بعضها علوم نقلية كعلمي القراءة والحديث ، وبعضها علوم عقلية كعلمي الفقه والكلام (٢).

إن نحاة العربية القدماء قد جمعوا بين منهجين أحدهما استقرائي وصفي وهو منهج القراء والمحدّثين والآخر تفسيري عقلي وهو منهج الفقهاء والمتكلمين (٣).

إن الطابع العقلي ما فتئ يزداد بروزه وتطوره عند نحاة العربية فوجدتهم يعتمدونه بصورة واضحة، خاصة بعد ظهور مدرستي البصرة والكوفة واختلاف نحاتهما في مسائل كثيرة ، فوجدت كل فريق يخترع لنفسه أسسا ذات طابع عقلي يغالب بها الفريق الآخر ، ولك في اختلافهما حول أصل الاشتقاق وحول العامل في رفع المبتدأ والخبر وغير ذلك أمثلة حية [٤].

إن الدرس النحوي القديم قد أنتج لنا جملة مهمة من المصطلحات التي يبدو فيها أثر العلوم العقلية الإسلامية واضحًا ، من ذلك: الحد ، والقياس ، والعلة ، والأصل والفرع ، وغير ذلك كثير.

إن العلاقة بين علوم العربية والعلوم الدينية قد قامت منذ البداية على الأخذ والعطاء ، فلئن كان الفقيه ملزمًا بمعرفة سنن العربية حتى يتسنى له استنباط الأحكام من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فإن النحوي يقتبس عن علماء الفقه وأصوله المنهج اللازم كالقياس والتعليل وغير ذلك مما هو تابع في الأصل لعلم الفقه وأصوله.

ولو نظرت في مسالك العلة عندهم لما وجدتها تختلف عن مسالكها عند الفقهاء فهي عندهم جميعا لا تخرج عن : علة نقل ، أو علة إجماع ، أو علة عقل[٥].

وقد قسمها الحافظ السيوطي إلى ثمانية : إجماع ، ونص ، وإيماء ، وصبر وتقسيم ، ومناسبة ، وقياس شبه ، وقياس طرد ، وإلغاء فارق [٦].

ومن الأمثلة أيضًا على تأثر النحو بالفقه أن أبا القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) قاس كون الإعراب لا يكون إلا بالحركات على وجوب الصلاة على البالغين من الجنسين ثم رأى أن إعراب الأفعال الخمسة بالحروف ناقض للباب فقاس ذلك على البالغين من النساء اللائي لحقتهن علة فسقطت عنهن الصلاة [٧].

كما تأثر أيضًا الفقهاء بالنحاة من ذلك ما روي عن أبي عمر الجرمي صالح بن إسحاق الفقيه (ت ٢٢٥هـ) من أنه كان يقول: «أنا مذ ثلاثين أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه» [٨]. وروي عن الفراء (ت٢٠٧هـ) أن بعض الحنفية سألوه عن الحكم في مَنْ سها في سجود السهو ، فقال: لا شيء عليه. ولما سئل عن مصدر فتواه قال: قسته على ما عندنا في العربية ، فإن المصغر لا يُصغر.

هذه نماذج قليلة أوردناها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لنؤكد بها على صلة الدرس النحوي والدرس الفقهي ببعضهما.

إن كثيرًا من علماء العرب القدماء بشكل عام ، وعلماء العربية بشكل خاص كانوا يمتازون بالموسوعية ، فلم يكن الواحد منهم يكتفي بمعرفة علم دون العلوم الأخرى بل كان يأخذ من كل منها بطرف ، مما يعني أن تسمية النحوي بالنحوي والفقيه بالفقيه إنما كان من باب التغليب في كثير من الأحيان ، وهو ما يؤكد على مسألة اختلاط النحو بغيره واختلاط غيره به.

لقد شغلت مسألة الأصلية والفرعية أو القياس والسماع حيّزا مهما في منهج نحاة العربية القدماء فكانوا يقيسون بعض الكلام على بعضه الآخر كما كان الفقهاء يفعلون غير أن بعضهم قد حاول أن ينأى بنفسه عن ذلك المنهج فمال إلى اعتماد السماع والابتعاد عن الأقيسة البعيدة والعلل النظرية المستنبطة ، ذلك هو صنيع كثير من الكوفيين الذين غلبت عليهم الرواية والقراءة.

إن الدراسات اللغوية والنحوية في الأندلس لم تكد تنفصل عن الدراسات الدينية الإسلامية على مر العصور. ومما يؤكد على ارتباطهما الوثيق أن الأندلسيين قد اعتمدوا القراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف مصدرين مهمين في الاستشهاد اللغوي والنحوي ، بل جعلوهما في مرتبة متقدمة على

غيرهما ، وكان نحاة المشرق قد حددوا مصادر الاستشهاد في اللغة والنحو فاعتمدوا في تقعيد العربية كلام العرب شعره ونثره مصدرا أول ، ثم القرآن الكريم مصدرا ثانيا ، واختلفوا في الاستشهاد بالحديث الشريف ، ولكن علماء العربية في الأندلس أعادوا جدولة تلك المصادر فجعلوا القرآن الكريم بقراءاته الصحيحة هو الأول ، والحديث الشريف هو الثاني ، وكلام العرب هو الثالث.

ويبدو أن كثيرًا من القدماء أنفسهم كان يضيق ذرعًا من الطابع العقلي الفلسفي الذي طغى على الدرس النحوي والدرس الفقهي على السواء كما كان يتبرم من كثرة التخريجات والتأويلات في كثير من المسائل ، مما كان مدعاة لوضع متون ومختصرات لكل من الفقه والنحو على السواء ، ومن ذلك في النحو: اللمع في النحو لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، والجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ) ، والتوطئة في النحو للشلوبيني الأندلسي (ت ٦٤٥ هـ) ، والمقدمة الوجيزة في النحو لابن الحاجب المصري (ت٦٤٦هـ) ، والألفية لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، والآجرومية لابن آجروم المغربي (ت ٧٢٣ هـ) ، وقطر الندى لابن هشام المصري (ت ٧٦١هـ).

ولا شك أنه قد جدت عوامل بمرور الزمن غيرت من مسار الدرس النحوي فلم يعد الجدل الفلسفي يستهوي النحاة فوجدتهم ينهجون فيه نهجا ، مالوا فيه نحو التيسير والاختصار ، وابتعدوا عن التعقيد والتوسع ، واكتفوا من العلل بالأول التي اضطرتهم إليها العملية التعليمية.

وقد تعمق هذا المنهج أكثر عند الظاهرية فرأى زعيمهم وإمامهم محمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) أن أقل ما يجزئ من النحو كتاب الواضح للزبيدي أو ما نحا نحوه كالموجز لابن السراج ، وأما التعمق فيه ففضول لا منفعة

بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهمّ ، بل هي فوق ذلك تكاذيب [١٠]. وذهب إلى أن التعليل في النحو بمنزلة التعليل في الفقه كلاهما حرام وكذب وافتراء على الله

وعلى الناس ، ولذلك رفضها ورماها بالفساد وقال إنها «كلها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتة ، وإنما الحق أن هذا قد سمع من أهل اللغة الذين يرجع إليهم في ضبطها ونقلها» [١١].

ولا شك أن ابن حزم بنظرته هذه يكون أول مَنْ طبق منهج أهل الظاهر على النحو العربي ، وأن ابن مضاء القرطبي لم يكن هو الأول.

لقد توسع ابن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) في نقض منهج نحاة العربية وما تميز به من طابع عقلي فدعا إلى إلغاء العوامل النحوية الفكرية المختلفة ولم يستثن منها سوى العلل البسيطة التعليمية ، كما دعا إلى إسقاط التمارين غير العملية ، مذكرا أن كل ذلك مما يستغني النحوي عنه.

وقد تبنى هذه الآراء الدارسون واعتبرها كثير منهم أساسا في عملية إصلاح النحو وتيسيره.

ثانيا- أهم الجهود التي بذلها المحدثون حول تجديد النحو العربي:

وهي جهود تشمل شقين : جهود حول المنهج وجهود حول المضمون .

يلقانا منها جهود دارسين كثيرين كلها تهدف إلى تيسير النحو ، وأصحابها ينطلقون من جهود علماء العربية حول القضية نفسها ، خاصة من ذلك آراء ابن مضاء القرطبي. وهي تهدف إلى إعادة النظر في مفهوم النحو وتخليصه من الطابع العقلي ، كما تعيد النظر في أبواب منه.

= من هذه الجهود:

*** جهود الدكتور إبراهيم مصطفى** في كتابه "إحياء النحو"الذي يقول فيه: «... أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية ، وأن أرفع عن

المتعلمين إصر هذا النحو وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة ، تقربهم من العربية ، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها... ورأيت عارضة واحدة.. هي التبرم بالنحو ، والضجر بقواعده ، وضيق الصدر بتحصيله»[١٢]. وهو بعد هذا يرى:

أ- أن غاية النحو بيان الإعراب بمفهومه الواسع ، وهو رأي يتفق مع ما تذهب إليه التعليمية.

ب- أن النحو قانون نظم الكلام ، وهو رأي يتفق مع المناهج الحديثة كما يتفق مع ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني من قبل ضمن نظرية النظم.

ج - أن النحاة - حسب رأيه - قد أهملوا بعض الأبواب كطرق الإثبات والنفي ، والتأكيد ، والتوقيت ، والتقديم والتأخير[١٣].

ومما فضل أن يكون الشاهد النحوي فيه من القرآن الكريم باب لا النافية للاسم والفعل على حد سواء ؛ تكون عاملة عمل ليس ، وعاملة عمل الحروف المشبهة بالفعل ، وتكون مهملة وعاملة قبل الاسم ، ولا تكون إلا مهملة قبل الفعل.

* **جهود الدكتور مهدي المخزوني** في كتابه "النحو العربي: نقد وتوجيه" حيث ذهب إلى أن الدراسة النحوية يجب أن تكون وفق منهج وصفي تطبيقي ليس فيه للنحوي أن يفرض على المتكلمين قاعدة أو يخطئ أسلوبا ، لأن النحو - حسب رأيه - متطور أبدًا كتطور اللغة ، والنحوي الحقيقي في رأيه هو الذي يتتبع مسيرة اللغة ويسجل ملاحظاته على التغييرات التي تطرأ ، وعليه أن لا يبتعد في التفلسف أو الأحكام العقلية ، فلا يأخذ من القياس والعلل إلا ما قرب وكانت الحاجة ماسة إليه [١٤].

ويرى الدكتور مهدي أن بعض أعلام العربية لم يُخرجوا النحو عن إطاره اللغوي العملي كالخليل والفراء ، وهما أولى بأن نؤسس على نحوهما نحوا جديدًا. (١٥)

* **جهود الدكتور شوقي ضيف في كتابيه " تيسير النحو" و" تجديد النحو".**

وهي جهود نعتقد بأنها أكثر أهمية من غيرها لأن أكثرها عرض للمناقشة والإثراء على مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وتم تبنيها من طرف المجلس نفسه.

وقد استضاء الدكتور شوقي فيها بنظرة ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة" الذي سبق له أن حققه وقدم له بدراسة مهمة.

وقد رأى الدكتور شوقي ضيف أن كثرة أبواب النحو وتفريعاته وافتراضياته التي لا تفيد وترهق المتعلم هي العامل الأساسي الذي دفعه إلى إعادة النظر في أبواب النحو مذكرًا بأن غاية النحو هو النطق السليم (١٦).

ويمكن تلخيص رأيه في النقاط التالية:

أ - إلغاء إعراب كنايات العدد (١٧)من ذلك: كم الاستفهامية ، وكم الخبرية ، وكأين الخبرية أيضًا ، و" كذا وكذا". والذي نراه الإبقاءُ على إعرابها المعروف لارتباط إعرابها بما بعد تمييزها لأن كلا من تلك الكلمات هي ركن في جملتها يغلب أن تكون مبتدأ وما بعد تمييزها هو الخبر كقولنا: كم طالبا حضر؟ وكم طالبٍ حاضرون ، وكأين من مريض شفاه الله ، وكذا وكذا كتابًا عندي.

كما ذهب أيضًا إلى إلغاء إعراب أسماء الشرط (١٨) ، وأبواب أخرى كذلك. وهي كلها تحتاج إلى إعادة نظر .

ب – إلغاء أبواب وإلحاق مضمونها بأبواب أخرى[١٩] كما هو باب التحذير ، وباب الإغراء ، وباب الترخيم ، وباب الإغراء ، وباب الندبة.

ج – اختصار أبواب ، واختصار عبارات البناء والإعراب ، كأن يقال مثلا: هذه الكلمة مبنية على الفتح أو هذه الكلمة مرفوعة ولا يزاد على ذلك شيئا. كذلك إلغاء الإعراب التقديري خاصة من ذلك ما تعلق بالظرف أو الجار والمجرور ، وكذا نصب المضارع بأن المضمرة.

* **جهود الدكتور تمام حسان** في كتب عدة منها كتابيه " مناهج البحث في اللغة " و"اللغة العربية: معناها ومبناها" حيث ذهب إلى أن «التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي ، وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية ، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية». [٢٠]

والتعليق يعني إنشاء علاقات بين المعاني النحوية بواسطة القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ، فلا يُكتفى بالاستناد في عملية التحليل النحوي بقرينة دون القرائن اللغوية الأخرى ، فقرينة الإعراب على الرغم من أهميتها تبقى غير كافية في الإبانة عن المعاني النحوية ، ومن ثم كان لا بد من الاستعانة ببقية القرائن المختلفة كاعتماد صيغة الكلمة وموضعها [٢١] وتنغيمها وإسنادها والمتكلم بها... كل ذلك يساهم معا في تحديد المعنى النحوي المقصود.

وهي نظرة شمولية على أهمية كبيرة ، تقوم على منهج متكامل ينظر إلى الدرس النحوي من زوايا عدة. وهي تقترب كثيرًا مما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، لكن تطبيقها يبقى صالحا لدى الخاصة من

الدارسين والباحثين ، أما اعتمادها لدى المستويات الدنيا عند التلاميذ والطلبة فلا شك أنه سوف يعترضه صعوبات جمة.

والواقع أن جهود الدارسين حول مسألة تقويم النحو العربي وتيسيره ما تفتأ تنتهي ، فهي متواصلة منذ أمد ، لكنها تختلف اختلافات بينة من حيث المنهج والمنطلقات التأسيسية ؛ بعضها يدعو إلى التمسك بالصرح القديم الذي أقامه أعلام العربية ، وبعضها ينطلق انطلاقة جديدة متناسيا الجهود القديمة ، وبعضها جامع بين هذا وذاك.

ثالثا- النحو العربي والمناهج الحديثة:

- **النحو العربي والمنهج الوصفي:**

الواقع أن النظرة الوصفية للنحو العربي قديمة قدم الدرس النحوي نفسه ، نشأت بنشأته وتطورت بتطوره ورجحها بعض نحاة العربية القدماء خاصة من ذلك نحاة الكوفة الذين غلب على منهجهم الرواية والقراءة ، غير أنهم ما كانوا يتجردون نهائيًا من تلك النظرة العقلية التفسيرية التي سايرت النحو العربي في مسيرته الطويلة وما كانوا ينأون عن الطابع التقييمي الذاتي كليًا.

وفي العصر الحديث حاول بعض الدارسين النظر إلى النحو العربي من خلال المنهج الوصفي الغربي ، الذي تبناه دي سوسير ، وهو منهج علمي ينظر إلى الظاهرة اللغوية على اعتبارات علمية مجردة من الذاتية. والأهم من ذلك أنه ينحو بالدرس النحوي نحو الموضوعية مبتعدًا عن منهج: **لِمَ كان هذا هكذا ولم يكن غير ذلك ؟** [٢٢].

وقد أخذ الدارسون العرب وغير العرب الذين تبنوا هذا المنهج على النحو العربي اهتمامه بالتعليل والتقدير والتأويل ، وتقعيده لعربية مخصوصة تمثل مستوى رفيعًا من الكلام غير متضمن للغة التي يتحدثها العامة من الناس[٢٣]. ذلك أن اللغة العربية - كأي لغة إنسانية - قد تطورت وتغيرت

عبر القرون ، وهناك ما يدل على أن اللغة التي وصفها سيبويه ليست هي اللغة الموجودة حاليًا – وهو رأي كثير منهم – باعتبار كثير من خصائصها التركيبية والصرفية والصوتية[٢٤] . ومن ثم فإن المهتمين بهذا المنهج يرون أنه لابد من جرد مواد جديدة انطلاقا من نصوص شفوية أو مكتوبة كالروايات والمحاضرات والأشعار [٢٥].

ومن بين الذين تبنوا هذا المنهج وحاولوا تطبيقه على النحو العربي الدكتور أنيس فريحة في كتابه نظريات "في اللغة" ؛ فقد ذهب إلى أن منهج الدرس اللغوي النحوي يجب أن يكون منهجا وصفيا تقريريًا «يُعنى بوصف المظاهر اللغوية لا بإيجاد الأسباب والعلل له» [٢٦]. فلك أن تقول: الفاعل (أو المبتدأ) في التركيب العربي مرفوع وعلامة الرفع ضمة أو ألف أو واو ، وتقف عند هذا الحد. وهو في ذلك إنما يرد على من ذهب إلى اعتماد المنهج الفلسفي التفسيري الذي ألزم القدماء أنفسهم به[٢٧]. وأهم ما انتهى إليه أنيس فريحة أن النحو العربي يجب إعادة النظر فيه وفق منهج وصفي يُبتعد فيه عن تعقيد الأبواب والإسراف في المصطلحات[٢٨] وأن نستبدل عبارة "أعرب" بعبارات أخرى مثل "أنشئ" و"قس على" ، على أن يكون تدريس النحو قائمًا على النماذج المفيدة لا على غيرها من التمارين غير العملية التي شوّهت صورة النحو.

- **النحو العربي والمنهج التوليدي التحويلي :**

تهتم القواعد التوليدية التحويلية بآلية اللغة التي تتيح للإنسان أن ينتج جمل اللغة كلها انطلاقا من الكفاية اللغوية التي يتمتع بها. اتصل بعض الدارسين العرب بالمنهج التوليدي التحويلي الذي أذاعه نوعم تشومسكي في أواخر الخمسينات ، وحاولوا تطبيقه على الدرس النحوي العربي ، وهو منهج يؤكد على إنسانية اللغة ؛ فالدارس عليه أن يضع في الحسبان أن الكلام

المنطوق به ينطوي على بنى عميقة يمكن ظهورها في السطح ممثلة في تراكيب شتى ومؤدية لأغراضها اللغوية.

إن المنهج التحويلي يتبع عددًا من العمليات النحوية تشبه إلى حد كبير ما هو موجود في الدرس النحوي العربي القديم من ذلك: قواعد الحذف ، وقواعد الإحلال وقواعد التوسع وقواعد الاختصار ، وقواعد الزيادة وقواعد الترتيب [٢٩].

ولا شك أن الأخذ بالإجراءات التوليدية التحويلية في تعليم النحو مفيد من الناحية الإجرائية حيث يكشف على القدرات المختلفة لدى الأفراد في التعبير عن المعاني بإشكال تركيبية مختلفة ، ولكنه قد لا يكون صالحًا ومنتجا في جميع الحالات لاختلاف الأهداف وطبيعة اللغات.

- **النحو العربي والتعليمية :**

تهتم عملية تعليم النحو العربي في العصر الحالي ، عند كثير من الدارسين بتوخي الأسس الآتية :

١- تجديد نظرية النحو القديمة باقتراح نظريات جديدة وطرق نحوية معاصرة ، واعتماد مدونات جديدة تعتمد لغة الاستعمال اليومي.

٢- تجديد أهداف دراسة النحو وغاياته ، تماشيا مع ما يقتضيه العصر من توجهات علمية وتكنولوجية .

٣- الاستعانة بنتائج الدراسات التربوية والنفسية الحديثة في ممارسة العملية التعليمية بصفة عامة ، وتعليمية النحو بصفة خاصة .

إن مهمة النحو التعليمي الأساسية تعتمد على استثمار بعض المفاهيم والمصطلحات النحوية المستعملة ضمن نظريات مختلفة لغوية وتربوية ونفسية وغير ذلك ، ثم يُتخذ من ذلك أصولا لبناء منهجية تعليمية منظمة

جديدة ، وتستفيد بما توصل إليه علماء النفس والتربية والاجتماع ، وذلك بغية ترقية الكفاءات والمهارات اللغوية لدى الأعمار والمستويات المختلفة .

إن أهم ما يجب القيام به لإنجاح العملية التعليمية الاهتمام بعناصر العملية التعليمية كلها ، وهي المتمثلة في ما يأتي [٣٠]:

أ – المتعلم : مراعاة ظروفه وقدراته وسنه وجنسه ....

ب– المعلم : مراعاة ظروفه الاجتماعية العامة وأقدميته وكفاءته ....

ج – المادة التعليمية : ضبطها وفق الغايات والأهداف التعليمية حتى تحقق الغرض المنشود .

د – الطريقة المعتمدة في عملية التعليم ، وكذا الاستعانة بالوسائل البيداغوجية الحديثة ، منها الوسائل السمعية البصرية .

رابعا– تجربتي في تدريس النحو بالجامعة:

بادئ ذي بدء لا بد من تسجيل الملاحظات الآتية:

١– أن البرامج الدراسية بالجامعة الجزائرية لم تعرف الاستقرار خلال عقدين من الزمن قبل الآن.

٢– أن مضامين مقررات مواد التدريس تخضع في الغالب الأعم لهيئة التدريس بل إلى أستاذ المادة يكيفها حسب رؤيته وتجربته والظروف المحيطة بذلك.

٣– أن النحو العربي يدرس في أقسام اللغة العربية في السنتين الأولى والثانية فقط بحجم قدره ثلاثة ساعات في الأسبوع ، نصفه محاضرة ونصفه تطبيق.

وقد أسند إلي تدريس النحو والصرف بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قسنطينة منذ عشرين (٢٠) سنة وقد حاولت جاهدا تكييف العملية في ضوء

المعطيات المشار إليها آخذا في الحسبان بمبدأ النجاعة لتحقيق الحد اللازم من التكوين ، وقد استقر الأمر على إتباع خطة تتمثل فيما يأتي:

- **الدروس النظرية:**

يوجه الاهتمام فيها للجوانب المعرفية ذات الصلة بالأبواب النحوية والصرفية ، وتترك التفاصيل الجزئية العملية لحصة التطبيق.

تتضمن حصة النظري المحاور الآتية:

السنة الأولى:

أ- مفهوم النحو ونشأته وأسبابها.

ب- مفهوم الكلام والكلمة والكلم واللفظ والقول.

ج - مفهوم البناء والإعراب.

د - الإعراب الظاهر والإعراب المقدر.

هـ - أسباب تقدير علامات الإعراب.

و - أنواع التراكيب.

ز- الجمل الفعلية: أركانها وفُضلاتها.

حـ - الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي ليس لها محل من الإعراب.

ط - مفهوم الصرف وميدانه.

ي - الميزان الصرفي والاعتبارات التي تدخل فيه.

ك - أقسام الفعل من حيث الصحة والاعتلال ، والتجرد والزيادة.

ل - معاني حروف الزيادة.

م - إسناد الأفعال إلى الضمائر.

السنة الثانية:

أ- مفهوم الجملة الاسمية.

ب- العامل في المبتدأ والخبر.

جـ - خصائص المبتدأ والخبر.

د - النواسخ الفعلية: خصائص جملتها.

هـ - النواسخ الحرفية: خصائص جملتها.

و - التوابع.

ز- المصادر: أنواعها.

حـ - المشتقات الإسمية: أنواعها.

ك - الإعلال والإبدال.

ل- أنواع الجموع.

م- النسبة.

ملاحظة: يتم دراسة هذه المحاور بالتوازن: يُدرس محور في الصرف ثم محور في الصرف ثم محور في النحو ثم محور في الصرف ... وهكذا.

- **الدروس التطبيقية:**

لا شك أن مادة النحو والصرف مادة يغلب عليها أن تكون تطبيقية عملية وظيفية يتدرب الطالب من خلالها على الكيفية السليمة الصحيحة نطقا وكتابة.

ولما كان لا بد من حصة "نظري" ، تتلوها حصة "تطبيق" يحضرها فوج واحد فقط فقد وجهت العناية في هذه الأخيرة إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول:

أ- يتمثل في مراجعة ما تضمنته حصة النظري من خلال استقبال استفسارات الطلبة عن قرب والإجابة عنها.

ب- عرض داخل القاعة ، تنتقى من نصوص مختلفة ، قرآنية أو شعرية أونثرية ، الغرض منها التوسع في شرح ما تضمنته حصة النظري ، حتى يتم تثبيت المعلومة في أذهان الطلبة.

جـ - طلب توظيف نماذج معطاة من المحور المدروس في جمل أو نصوص غير معطاة ، ويتم حل ذلك داخل القاعة.

د - طلب كتابة نصوص أو فقرات في موضوعات معينة ذات أهمية تتضمن شواهد مختلفة حول المحور المدروس ، ويتم حل ذلك لاحقا.

هـ - طلب إعراب نماذج معطاة من المحور المدروس.

وقد استضأت في هذا القسم التطبيقي بآراء كثيرة منها رأي أستاذي الدكتور عبده الراجحي في كتابيه [٣١] "التطبيق النحوي" ، و"التطبيق الصرفي" ، ورأي الأستاذين الكبيرين علي الجارم ، ومصطفى أمين في كتابهما " النحو الواضح" [٣٢].

الأمر الثاني:

يتمثل في تكليف الطلبة بإنجاز "عروض" أو "أعمال موجهة" حول موضوع من الموضوعات المتضمنة في محاور الدراسة أوحول قضية ذات الصلة أو علَم من أعلام العربية أو مدرسة من المدارس النحوية...

الهدف من تلك العروض ، من جهة ، هو جعل الطالب يتعامل مع المراجع النحوية والصرفية مباشرة ، ويقرأها ويستخلص منها ما تعلق بعرضه مصاغا في شكل جديد ضمن خطة عمل ، ثم تُناقش تلك العروض علنا في قاعة الدرس جميعها أو بعضها ، فتعم الفائدة جميع طلبة الفوج ، ويستفيد أصحاب العرض من توجيهات الأستاذ ، ومن مناقشات زملائهم واستدراكاتهم.

ومن جهة ثانية فإن هذه العروض يغلب أن تكون حول المحاور الأخيرة من البرنامج: كالفضلات، والجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب (من برنامج السنة الأولى) ، والتوابع ، وأنواع الجموع ، والنسبة (من برنامج السنة الثانية). والسبب في ذلك أن العام الدراسي كثيرا ما ينتهي قبل إنهاء البرنامج ، فنكون بذلك قد احتطنا وغطينا جزءا من البرنامج عن طريق العروض. وهي طريقة نحسب أنها تفي بالغرض المطلوب إلى حد كبير.

لقيت هذه الطريقة استجابة مُرضية من جموع الطلبة وتمثل ذلك في:

- استبعاد مقولة أن النحو العربي صعب وجاف.
- إقبال الطلبة على حصص الدرس النحوي وحماستهم في المشاركة والتحصيل والإنجاز.
- تعاون الطلبة على إنجاز الأعمال الموجهة (العروض) وفتحهم من خلالها لقناة التواصل والأخذ والعطاء.
- تحسن مستوى الطلبة اللغوي والنحوي بشكل ملحوظ.
- تحقيق نتائج إيجابية في الامتحانات الدورية ، ونجاح نسبة عالية من الطلبة في وحدة النحو والصرف في نهاية العام بتقدير ممتاز.

خامسا- نتائج وتوصيات:

- إن استشراف المستقبل دون اعتبار الماضي لا جدوى فيه. يخطئ من يظن أن الأمة يمكن أن تهدم ماضيها وتردمه لتتخذ لنفسها أسسا جديدة أو مستعارة تقوم عليها.
- إن أوربا ما كانت لتبني نهضتها الحديثة التي أصبحت مثار إعجاب وإكبار لدينا نحن العرب ، لولا أنها اعتمدت ما تركته الحضارتان الأوربيتان القديمتان ؛ حضارة الإغريق وحضارة الرومان.

- لقد ظل التراث العربي بصفة عامة ، والتراث اللغوي بصفة خاصة نبراسا يستضيء به الداني والقاصي لقرون كثيرة متعاقبة ، ولك في جهود ابن جني مثال على ذلك فتعريفه للغة (حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) لا يزال هو المعتمد في الغرب. ولك في جهود ابن خلدون حول علم الاجتماع مثال آخر. وهذا يوهان فك أحد المستشرقين المنصفين يصف جهود نحاة العربية فيقول : «بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد»[٣٣].

- إن أهم وسيلة لاستشراف المستقبل هي أن نعمل على تأصيل الأصل لا على فصل الأصل ، فرحم الله امرءًا دعا إلى إلحاق النحو بالقراءات لا إلحاق القراءات بالنحو[٣٤].

- إن المناهج الغربية الحديثة تحتوي على جوانب مهمة -لا شك- ولكن لا يجب أن نُخضع أنفسنا أو نُخضع لغتنا لها كليا. إنها مناهج تحتاج إلى غربلة وتصفية قبل أن نُفكر في غربلة منهج نحاة العربية وتصفيته.

- إن الاستلاب الحضاري الذي نحياه اليوم قد أثر سلبا على عملية تحصيل أبناء هذه الأمة لقواعد لغتهم ، وإن مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية بدلا من أن تكون رافدا معرفيا وعاملا ثقافيا إيجابيا قد انعكس سلبا على هويتنا في شتى مناحي الحياة التعليمية والمعيشية.

- إن الاهتمام الزائد بالوسائل السمعية والمرئية الحديثة قد ساهم في تدهور إقبال الناشئة من أبناء الأمة على القراءة الشفوية فأدى ذلك إلى ضعف قدراتهم اللغوية وعجزها عن التعبير بشكل صحيح وواف عن هواجسها وتطلعاتها .

- إن انشغال هذه الناشئة باهتمامات أخرى أكثرها"انشغالات مادية" وفقدانها الثقة في المؤسسة التربوية التعليمية التي غدت محل استهجان لضعف

إمكانياتها وتحفيزها ، والاكتضاض الذي بلغته أقسامها. كل ذلك أدى إلى تفاقم وضع وجب إصلاحه.

- لا بد من العمل على تحقيق مناهج تعليمية أصيلة تراعي ماضي الأجيال وحاضرها ، فتأخذ في الحسبان خصوصية المتعلم وبيئته وانتماءاته الحضارية وثقافته.

- ولابد من المزاوجة بين المدونات القديمة والجديدة كموضوعات تعلمنا النحو من خلال أساليب مختلفة: أدبية رصينة ، وقرآنية بليغة ، وتقنية علمية...

- ما أحوجنا إلى نحو فني [٣٥] نعرف من خلاله الطرق الخاصة للأداء في اللغة العربية التي اطردت في تراكيبها وأساليبها ومُرِّنت عليها الألسنة وتمكنت من طبائع البشر فامتلكوا لغتهم التي جرت على ألسنتهم سلسبيلا لا اعوجاج فيها. إن سبيل معرفة ذلك النحو الفني اليوم هو أن نجعل الناشئة تُقبِل على القراءة بنهم للنصوص المختلفة المضبطة بالشكل ، وأن تستمر على تلك الحال فترة أطول قبل أن تخوض في معرفة النحو العلمي.

- إن الانطلاق مما ورثناه عن أعلامنا العباقرة في إجراء أي عملية تقويمية واستقراء ذلك استقراء تاما وصحيحا هو الأساس المتين الذي اعتمده أصحاب الجهود الخالصة في استشراف المستقبل.

وبالله وحده التوفيق.

****

الهوامش:

(١) انظر: د. شوقي ضيف- المدارس النحوية ، دار المعارف ، ط٤ ، ص ١١ – ١٢.

(٢) انظر: د. عبده الراجحي- النحو العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص١٢.

(٣) انظر: نفسه ، ص ١٩.

(٤) راجع تلك القضايا في "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري.

(٥) انظر: د. طاهر سليمان حمودة- ظاهرة القياس في دراسة العربية ، الإسكندرية ١٩٦٨ ص٦٩.

(٦) السيوطي- الاقتراح في أصول النحو ، دار السعادة ١٩٧٦ ، ص١٣٧ وما بعدها.

(٧) انظر: نفسه ، ص٧٣ – ٧٤.

(٨) أبو بكر الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف ، ص٧٥.

(٩) انظر: د. مازن المبارك – النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها) ، دار الفكر ، دمشق ، ص٧٢.

(١٠) انظر: ابن حزم- رسائل ابن حزم تحقيق د. لإحسان عباس ، مكتبة الخانجي،١٩٥٤ ، ص ٦٤ – ٦٥.

(١١) انظر: سعيد الأفغاني – نظرات في اللغة عند ابن حزم ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٣ ، ص ٣٢ ، وانظر أيضا: د. أحمد مختار عمر- البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، ط ٤ ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٧.

(١٢) مقدمة إحياء النحو (ص : أ + ب).

(١٣) إحياء النحو ، ص ١- ٣.

(١٤) انظر: د. مهدي المخزومي – في النحو العربي نقد وتوجيه ، المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٩٦٤ ، ص١٩.

(١٥) انظر: نفسه ، ص ٢٤.

(١٦) انظر: د. شوقي ضيف- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ، دار المعارف ، ١٩٨٦،ص ٥٨.

(١٧) انظر: نفسه ، ص ١٣١-١٣٢.

(١٨) انظر: نفسه ، ص ١٣٨-١٣٩.

(١٩) انظر نفسه ، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢٠) د. تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٩.

(٢١) انظر: د. تمام حسان- مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٧٩ ، ص٢٢٧.

(٢٢) انظر: النحو العربي والدرس الحديث ، ص ٤٦.

(٢٣) انظر: نفسه ، ص ٤٨ – ٤٩.

(٢٤) انظر: د. عبد القادر الفاسي الفهري- اللسانيات واللغة العربية ، عويدات ، بيروت١٩٨٦ ، ص ٥٣.

(٢٥) انظر: نفسه ،ص ٥٢.

(٢٦) د. أنيس فريحة- نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٨١ ، ص ١١٢.

(٢٧) انظر: نفسه ، ص ١١٣-١١٤.

(٢٨) انظر: نفسه ، ص ١٦٤-١٦٧.

(٢٩) انظر: النحو العربي والدرس الحديث ، ص ١٤٠-١٤١.

(٣٠) انظر: د. يحيى بعيطيش ، الطرائق الحديثة في تعليم النحو العربي ، جامعة قسنطينة ، ص ١٠.

(٣١) التطبيق النحوي+ التطبيق الصرفي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ١٩٨٨.

(٣٢) النحو الواضح ، دار المعارف ، ط٢٠٠٠.

(٣٣) يوهان فك- العربية: دراسة في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠ ، ص ١٤.

(٣٤) ذلك هو صنيع الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه: نظرية النحو القرآني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية،١٩٨٤،انظر: ص ١٧ ، وص ٢٠٥ وما بعدها.

(٣٥) انظر: د. حسن عون- اللغة والنحو مطبعة روايال ، ط١ ، ١٩٥٢ ، ص ٧٨-٧٩.

••••